تكميل المسند والمسند إليه في آيات القتال

علي أحمد المُعنقي

باحث في مرحلة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة صنعاء

(الجمهورية اليمنية)

alrazheali@gmail.com

تاريخ تسلم البحث: ٢٥/ ١١/ ٢٠٢٣م **تاريخ قبول البحث**: ١٠/ ١٢/ ٢٠٢٣م

Doi: 10.52840/1965-011-001-017

الملخص:

تشكل السياسة القتالية في القرآن موضوعًا مثيرًا لجدل عالمي، وترتب على هذا الجدل الكثير من السياسات العلاقاتية بين الدول الإسلامية وغيرها، وكانت الدعوات لتغيير المناهج وتجريدها من آيات الجهاد أحد المطالب. ومن المؤسف حقًّا أن الاستكبار العالمي يحاول إلصاق تهمة الإرهاب بالدين الإسلامي، ويناصره جمهور واسع من المجتمع الغربي، إما جهلًا بالدين، أو عدوانًا. وقد حاولت أن أطل من خلال تكميل بعض آيات القتال مساهمة في إدراك وفهم دلالات النص القرآني لآيات القتال، منطلقًا من اللغة والنحو العربي، لأدرس النص القرآني الخاص بآيات القتال في النصوص غير القصصية مجردًا من ثقل التفسيرات، وإن استشهدت بها بعد عملية التحليل اللغوي. هادفًا من خلال هذا البحث إلى معرفة الضوابط الشرعية لتشريع الجهاد والقتال في الإسلام، وهل حقًّا، تصدق عليه تهمة الإرهاب، أم أنها مجرد شبهة مضللة، لا تستند إلى دليل؟

اعتمدت المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل؛ لإجراء هذا البحث الذي تظهر أهميته من خلال ما يعيشه المسلمون اليوم من صراع واستضعاف، وتهمة بالإرهاب. وبعد إجراء البحث، توصلت إلى أن الآيات التي تحدثت عن الجهاد والقتال حكيمة التشريع، مضبوطة القوانين، إنسانية التكليف. وأن التهم التي ألصقت بالإسلام لا أساس لها، فالجهاد في الإسلام ليس سوى ردة فعل على طغيان المستكبر، الذي ابتدأ بالقتل، والحصار، والتهجير، والقتال، وتحزيب الأعداء ضد الإسلام.

الكلمات المفتاحية: آيات القتال، التكميل، القرآن، الجهاد.

Complementing the Predicate and the Predicated in Verses about Combat

Ali Ahmed Al-Mu'niqy

A PhD researcher – Arts College – Sana'a University

alrazheali@gmail.com

Date of Receiving the Research: 25/11/2023 **Research Acceptance Date**: 10/12/2023

Doi: 10.52840/1965-011-001-017

Abstract:

Combat policy in the Qur'an is a topic of global controversy, and this controversy has resulted in many relational policies between Muslim countries and others, and calls to change curricula and strip them of the verses of jihad were one of the demands. It is indeed saddening that global arrogance tries to attach the accusation of terrorism to the Islamic religion, and is supported by a wide audience of Western society, either out of ignorance of religion or aggression. I have tried to raise by "Al-Takmeel(1)" or complementing of some of the combat verses as a contribution to the realization and understanding of the connotations of the Qur'anic text of the verses of combat, springing from the Arabic language and grammar, to study the Qur'anic text of the verses of combat in non-narration texts, striped from the burden of interpretation, even if I cited them after the linguistic analysis process, aiming through this research to know the legal controls for the legislation of jihad and fighting in Islam, and is it really valid for the charge of terrorism, or is it just a misleading suspicion, not based on evidence?

I adopted the descriptive approach based on induction and analysis to conduct this research, whose importance is shown through the conflict, vulnerability and accusation of terrorism that Muslims live in today. After conducting the research, I concluded that the verses that talked about jihad and fighting are wise in legislation, controlled in laws and humane in assignment, and that the accusation of terrorism attached to Islam is baseless, as jihad in Islam is nothing but a reaction to the tyranny of the arrogant, who began with murder, siege, displacement, fighting, and assembling enemies against Islam.

Keywords: verses of fighting, Al-Takmeel, Qur'an, jihad.

(1) One of the chapters of studying language structures, especially the rhetorical aspect

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

□□□□.

تشكل السياسة القتالية في القرآن موضوعًا مهما، ومثارًا لجدل عالمي في أروقة السياسيين، أو الثقافيين، وترتب على هذا الجدل الكثير من السياسات العلاقاتية بين الدول الإسلامية ودول الغرب خاصة، وكانت الدعوات لتغيير المناهج وتجريدها من آيات الجهاد أحد مطالب أمريكا؛ خاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ومن المؤسف حقًّا أن الاستكبار العالمي يحاول إلصاق تهمة الإرهاب بالدين الإسلامي، ويناصره جمهور واسع من المجتمع الغربي، إما جهلًا بالدين وسياسته الجهادية، أو عدوانًا لشيء في النفوس. وأنا في هذا البحث المتواضع حاولت أن أطل من خلال جمل التكميل[٢] في بعض آيات القتال مساهمة في وعي وإدراك وفهم دلالات النص القرآني لآيات القتال، وقد انطلقت من بوابة اللغة والنحو العربي، لكي أدرس النص القرآني الخاص بآيات القتال في النصوص غير القصصية مجردًا من ثقل التفسيرات، وإن استشهدت بها بعد عملية التحليل اللغوي.

وعلى امتداد القرآن الكريم نجد أن آيات القتال لم ترد مطلقة، بل قُيِّدت بالتكميل والتذييل إما: بيانًا لمجمل، أو تخصيصًا لعموم، أو تقييدًا لمطلق، أو توضيحًا لمبهم. كل ذلك يدل على الحكمة الدقيقة في السياسة القتالية، وقوانينها، وأحكامها وتشريعاتها في الإسلام. وما كان القتال في الإسلام إلا رد فعل لعدوان المستكبر الذي بدأ بالقتال، والحصار، والمضايقة، وهذه القضية تتجلى بوضوح في نصوص آيات القتال، وهو يوافق الفطرة السليمة، والعقول غير المدجنة في واجب الدفاع عن النفس من أي اعتداء.

ونحن نؤمن بعدالة الله المشرِّع، والذي يشكل القتال أحد تشريعاته المتفرعة عن عدله وحكمته، ومعرفته بالإنسان، سواء المستكبر أو المستضعف. وإذا كانت القوانين الدولية، والتشريعات الإنسانية الوضعية تقر بحق الدفاع عن النفس، فإن ذلك يتوافق مع قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ

٢ـ التكميل هو قسيم التتميم، في باب من أبواب البلاغة العربية، يهتم بدراسة دلالات الجمل والألفاظ التي تكمل ركني الجملة.

صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

ومن المعلوم أن بحث موضع الجهاد والقتال في الإسلام قد بُحث كثيرًا، لكني هنا لم أنطلق من منطلقات الباحثين أولئك، بل حاولت أن أعتمد النص القرآني وتركيبه اللغوي موضوعًا للبحث، وقد اعتمدت المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل؛ لإجراء هذا البحث.

وتظهر أهمية هذا البحث من خلال الوضع الذي يعيشه المسلمون اليوم من صراع واستضعاف، وتهمة بالإرهاب. حيث نجد من خلال الدراسة للآيات التي شرّعت القتال أن تلك التهم لا أساس لها، فالجهاد والقتال في الإسلام ليس سوى ردة فعل على طغيان المستكبر، الذي ابتدأ أصلًا بالقتل، والحصار، والتهجير، والقتال، وتحزيب الأعداء ضد الإسلام.

مدخل:

من المصطلحات المتداولة بين علماء البلاغة (التتميم والتكميل)، والتتميم والتكميل وصفان لجملٍ، أو شبه جمل، أو ألفاظ زائدة على التركيب الأساسي للجملة في اللغة العربية؛ وأعني بالتركيب الأساسي: المسند والمسند إليه. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن مصطلح التتميم ظهر متداخلًا مع التكميل عند كثير من العلماء السابقين؛ فتجد العسكري مثلًا يضع التتميم والتكميل عنوانًا لموضوع واحد؛ فهما لديه مترادفان يعرفه بقوله: " أن توفي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظًا يكون فيه توكيد إلا تذكره"(٣). والتتميم عند ابن قدامة: "هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكتمل معها جودته شيئًا إلا أتى بها"(٤). ولا يبتعد عنهم ابن رشيق فيقول إنه: "محاولة الشاعر معنى، فلا يدع شيئًا يتم به حسنه إلا أورده وأتى به"(٥). أما الزركشي فيظهر عنده الأمر بشكل مختلف حيث يقول عن التتميم: " وهو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله: إما مبالغة، أو احترازًا، أو احتياطًا. وقيل: هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح، وربما كان السامع لا يتأمله؛ ليعود المتكلم إليه شارحا "(٦).

هذه التعاريف عامة لم تعط المعالم الواضحة لموضوع المصطلح. ولأجل هذا التداخل تكررت الشواهد تحت هذين العنوانين، وقد علل ذلك بَسَنْدي بقوله: "الشاهد يرد في الاعتراض والاحتراس والتتميم والتكميل؛ لأن جانب التفريق هنا المعنى، فكل كاتب يضعها من منظور تفسيره هو "(٧).

---

(٣) ـ الصناعتين الكتابة والشعر ـ أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري(٣٩٥هـ) ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ ص ٣٨٩ ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

(٤)ـ نقد الشعر ـ أبو الفرج قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ـ تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي ـ ص ١٤٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ بدون تاريخ ولا ذكر طبعة.

(٥) ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (٤٦٣هـ) ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ (٢/ ٨١) ـ ط٥/ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ـ دار الجيل ـ بيروت.

(٦) ـ البرهان في علوم القرآن ـ بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللهَّ بْن بهادر الزركشي ـ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ(٣/ ٧٠) ـ ط:١ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ـ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

(٧) ـ السابق ص ٤٦.

غير أن هناك من فرَّق؛ فالإمام يحيى بن حمزة عليه السلام مثلًا يفرق بين التتميم والتكميل الذي يسميه الإكمال بقوله: " والتكملة بين الإكمال والتتميم ظاهرة، مع كونهما مشتركين في أنهما زِيدا من أجل رفع الوهم عن تخيل ما يحط من المدح ويسقطه، وحاصلهما من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى: أما من جهة اللفظ: فهو أن التتميم إنما يُقال في شيء نقص ثم تُمِّم بغيره، بخلاف الإكمال فإنه تامٌ لم ينقص منه شيء، خلا أنه أُكمل بغيره؛ فصار الأول بالزيادة تامًا، وصار الثاني بالزيادة كاملًا. وأما من جهة المعنى: فهو أن التتميم إنما يذكر من أجل رفع احتمال متوهم؛ فلهذا افترقا. فالإتمام يرفع الخطأ مما ليس ذمًّا، والإكمال يرفع الذم المتوهم إذا لم يذكر"[٨]. وأكد ذلك الحموي بقوله: "والفرق بين التكميل والتتميم: أن التتميم يرد على الناقص فيتمه، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله؛ إذ الكمال أمر زائد على التتميم. وأيضًا أن التمام يكون متمِّمًا لمعاني النقص، لا لأغراض الشعر ومقاصده. والتكميل يكملها"[٩].

معنى التكميل:

عن معنى جذر التكميل يقول ابن فارس: " الكاف والميم واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على تمام الشيء. يقال: كَمَل الشيءُ وكَمُل فهو كاملٌ، أي تامّ "[١٠]. وفي اللسان: " يقال كَمَّلْت له عَدَدَ حقِّه ووَفاء حقه تَكْميلًا وتَكمِلة فهو مُكَمَّل"[١١]. هذا من حيث الوضع اللغوي للمفردة.

وفي اصطلاح اللغويين يقول ابن أبي الإصبع: " والتتميم أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما: بفن زائد، أو بمعنى"[١٢]. وورد في خزانة

(٨) ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـ يحي بن حمزة بن علي العلوي ـ (٣/ ١١٠و١١١) ـ ١٩١٤م ـ مطابع المقتطف ـ مصر.

(٩) ـ خزانة الأدب خزانة الأدب وغاية الأرب ـ أبو بكر تقي الدين علي بن عبد الله الحموي الأزراري ـ تحقيق: عصام شعيتو ـ (١/ ٢٧٣) ـ ط١/ ١٩٨٧م ـ دار ومكتبة الهلال – بيروت.

(١٠) ـ معجم مقاييس اللغة، مادة (كمل).

(١١) ـ لسان العرب مادة (كمل).

(١٢) ـ تحرير التحبير ـ لابن أبي الإصبع البغدادي ـ ص ٢٤٥ ـ تحقيق: حفني محمد شرف ـ من منشورات الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الأدب: "التكميل يرد على المعنى التام فيكمله؛ إذ الكمال أمر زائد على التتميم"[١٣]. ويقول السيوطي عنه: " ويسمى بالاحتراس. وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(المائدة:٥٤) فإنه لو اقتصر على أذلة لتوهم أنه لضعفهم فدفعه بقوله ﴿أعزة﴾"[١٤].

وما قاله السيوطي قال به بعض البلاغيين[١٥]، غير أنه لا يمكن حصر التكميل في الاحتراس؛ لارتباط جمل متعددة بالنص الأساسي لأغراض أخرى غير الاحتراس. وقد رأيت أن أبدأ بوصف لنصوص القتال في غير السور الحكائية[١٦]؛ لمعرفة الدلالة التي يوحي بها تكميل نصوص القتال الأساسية.

(١٣) ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبد القادر بن عمر البغدادي ـ (١/ ٢٧٣) ـ تح: عبد السلام محمد هارون ـ ط ٤ ـ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ـ مكتبة الخانجي، القاهرة.

(١٤) ـ الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ (٢/ ١٩٨) ـ الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٥) ـ انظر تحرير التحبير ـ ابن أبي الإصبع العدواني ـ تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ـ ص ٣٥٧ ـ لجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
وبيان إعجاز القرآن ـ أبو سليمان حمد الخطابي ـ تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ـ دار المعارف بمصر. ومختصر المعاني ـ سعد الدين مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر التفتازاني ـ ص ١٧٠ ـ ط١/ ١٤١١هـ ـ دار الفكر ـ إيران.

(١٦) ـ أقصد بالسور الحكائية السور التي ورد فيها وصف الغزوات كالأنفال مثلاً.

التكميل في آيات القتال في سورة البقرة

-١-

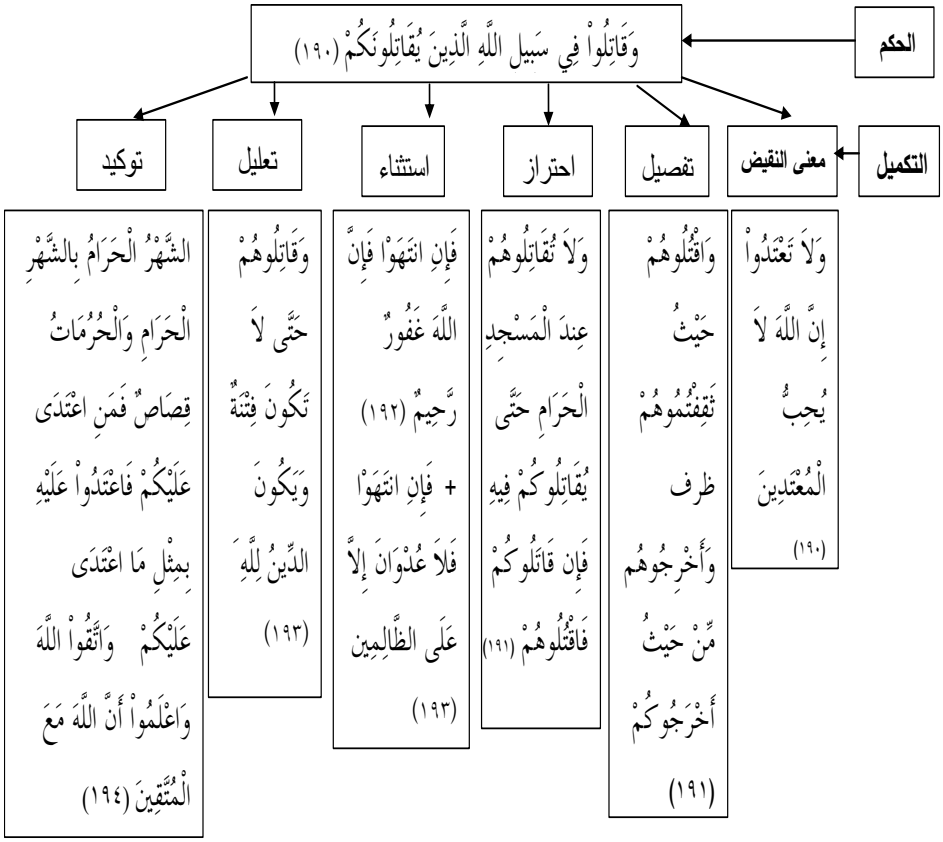

وبالإضافة إلى عنوانات التكميل السابقة نلاحظ أنه من دلالات التكميل في النص السابق ما يلي:

١ ـ إن قتال من لا يقاتل المؤمنين يندرج تحت إطار العدوان المنهي عنه، وهو مفهوم من النهي في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَّ لاَ يحُبُّ الْمُعْتَدِينَ(١٩٠)﴾ وفي: ﴿وَاتَّقُواْ اللهَّ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَّ مَعَ الْمُتَّقِينَ(١٩٤)﴾.

٢ـ الحرص على المثلية في رد الاعتداء وهو مفهوم من: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ (١٩١)﴾، ومن: ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ (١٩١)﴾، ومن ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (١٩٤)﴾.

٣ـ كما بين التكميل أن قتال المؤمنين ليس إلا ردة فعل لما وقع عليهم من قتال من الأعداء، يفهم ذلك من التخصيص في القتال عند المسجد الحرام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)﴾.

-٢-

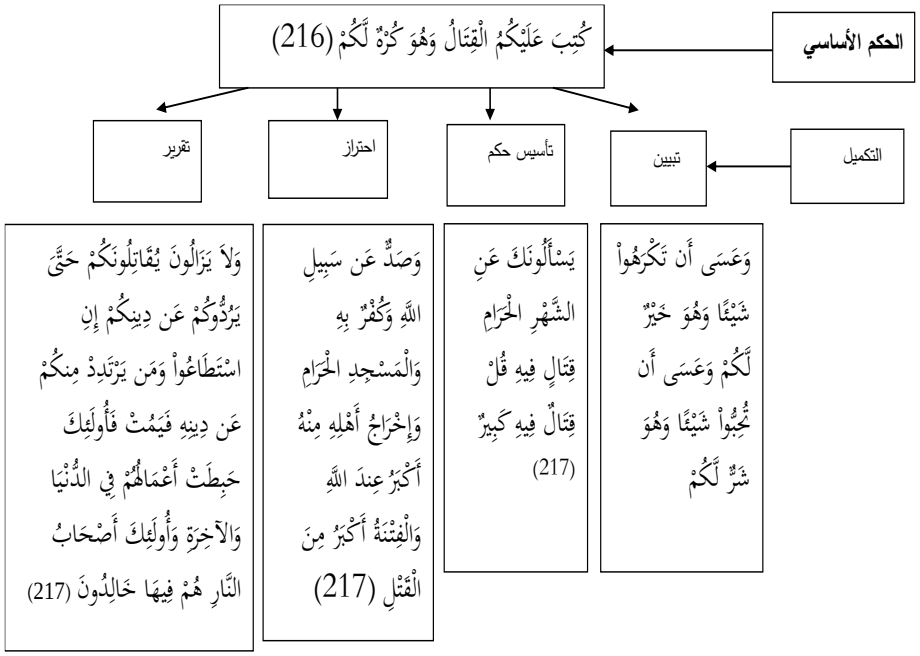

الحكم الأساسي في هذا النص جملة فعلية مبنية للمفعول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ (٢١٦)﴾، تمّم بجملة حال، وجاء التكميل ليبين لهم لِمَ شُرع بالرغم من كراهته بواسطة جملة الرجاء، ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾؟ كما أكد على حرمة القتال في الشهر الحرام بواسطة جملة تأسيسية جاءت جوابًا على تساؤل هي: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ (٢١٧)﴾. قال ابن عاشور: "من أهم تفاصيل الأحوال في القتال الذي كتب على المسلمين في الآية قبل هذه أن يعلموا ما إذا صادف القتال بينهم وبين المشركين الأشهرَ الحرمَ؛ إذ كان محجرًا في العرب من عهد قديم،... فكان

الحال يبعث على السؤال عن استمرار حرمة الشهر الحرام في نظر الإسلام."[١٧]. وأحب أن أشير إلى رؤية البقاعي في هذه الآية؛ إذ اختَلف في ترتيب تركيبها النحاة والمفسرون؛ سواء تركيبها التتميمي أو التكميلي:

رؤية البقاعي في آية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[البقرة:٢١٧]

السؤال	يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه	و يسألونك عن المسجد الحرام قتال فيه
التتميم	قل قتال فيه كبير (الحكم) مذكور[١٨]	قل قتال فيه كبير (الحكم) مفهوم
التكميل	وصد عن سبيل الله وكفر به (أكبر)	وإخراج أهله منه أكبر
الحالة	فالسؤال عن الأول ظاهر	والسؤال عن الثاني مضمر
الحالة	والحكم التتميمي في الأول ظاهر	وهو في الثاني مضمر
الحالة	والحكم التكميلي في الأول مضمر	وهو في الثاني ظاهر

ثم يعلل ذلك بقوله: "وسِرُّ ما صنع في هذا الموضع من الاحتباك أنه لما كان القتال في الشهر الحرام قد وقع من المسلمين حين هذا السؤال في سرية عبد الله بن جحش أبرز السؤال عنه والجواب، ولما كان القتال في المسجد الحرام لم يقع بعد، وسيقع من المسلمين أيضًا عام الفتح طواه وأضمره، ولما كان الصد عن سبيل الله الذي هو البيت، والكفر الواقع بسببه لم يقع، وسيقع من الكفار عام الحديبية أخفى خبره وقدّره، ولما كان الإخراج قد وقع منهم، ذكَرَ خبرَه وأظهره؛ فأظهر سبحانه وتعالى ما أبرزه على يد الحدثان، وأضمر ما أضمره في صدر الزمان، وصرح بما صرح به لسان الواقع، ولوّح إلى ما لوّح إليه صارم الفتح القاطع"[١٩].

ولما كان حكم تحريم القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام عامًّا؛ احترز بقوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ

(١٧) ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ (٢/ ٣٢٣ و٣٢٤) ـ ط١٩٨٤ ه ـ الدار التونسية للنشر – تونس.

١٨)ـ فالحكم (قتال فيه كبير) مذكور، وهو مفهوم في السؤال عن حكم القتال في المسجد الحرام.

(١٩) ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ إبراهيم بن عمر البقاعي ـ (١/ ٤٠٤) ـ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الْقَتْلِ (٢١٧)﴾، لاحتمالية اعتداء الكافرين على المؤمنين فيها؛ لأن الحكم في هذه الحال يختلف؛ إذ سبق وجوب قتال من يقاتل المؤمنين، في أي مكان أو زمان. وبهذا التكميل لا يرد التساؤل عن الحكم فيما لو قاتلوا المؤمنين فيه.

وجاء التقرير العام تأكيدًا على أن الكافرين لا يرعون حرمة لزمن فهم: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ.. (٢١٧)﴾؛ إذ المشكلة معهم مشكلة عقدية.

التكميل في آيات القتال في سورة النساء

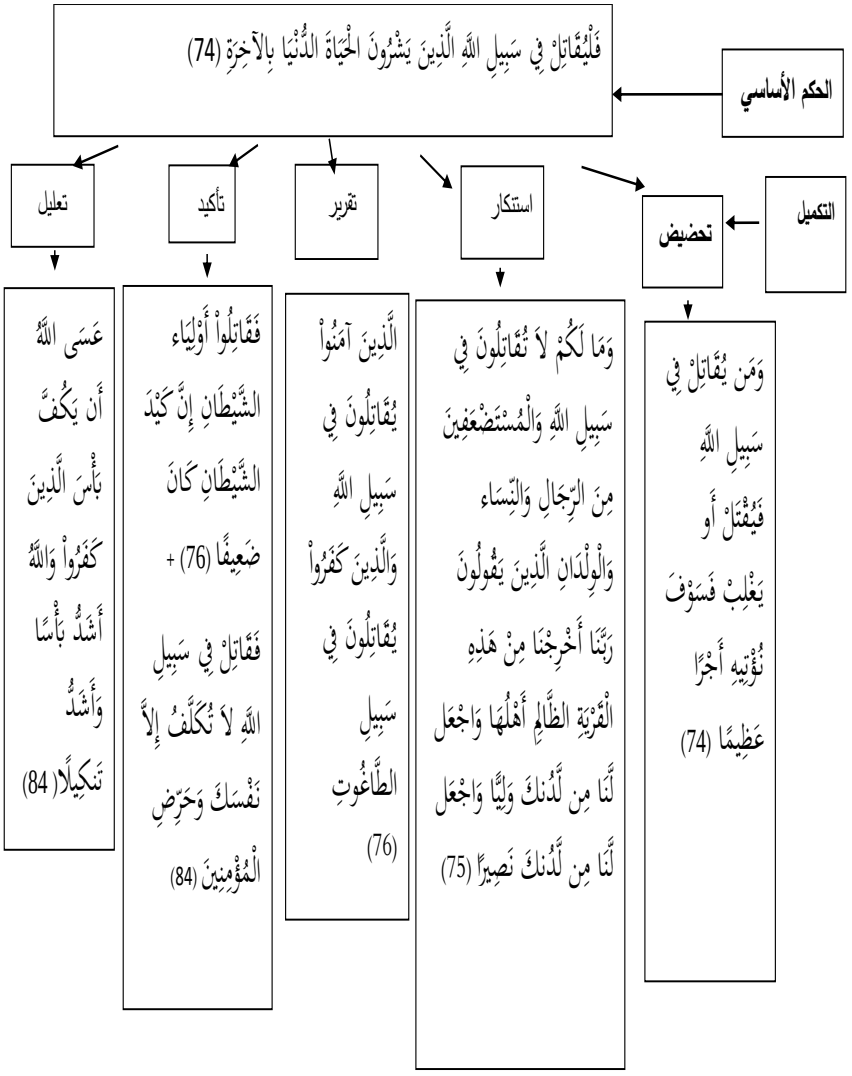

١ـ **التحضيض**: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، جملة اسمية شرطية ابتدائية ارتبطت بالحكم بواسطة حرف العطف، وهي تحضيض على القتال المأمور به في النص الأساسي ﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾.

٢ـ **الاستنكار**: استئناف بواسطة السؤال ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ﴾ جملة اسمية متمَّمة بالحال استنكار من عدم قتالهم بالرغم من توفر الدواعي الأخلاقية والإنسانية له؛ الظاهرة في التتميم التعليلي للجملة الأساسية في السؤال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾.

٣ـ **التقرير**: بواسطة جملة ابتدائية تقابلية في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾، تقرير عن حالٍ؛ زيادة في الحث، وبيانًا للوجهة.

٤ـ **التأكيد**: جملة إنشائية أمر ﴿فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء:٧٦]، مبنية على الجملة التقريرية بواسطة حرف الربط الفاء التي تفيد الترتيب والسبب. و:﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:٨٤]، تأكيد للأمر السابق، بعد ما سبق من التكميل الداعي إليه.

٥ـ **التعليل**: بواسطة جملة الرجاء ﴿عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا(٨٤)﴾ تعليل للحكم، دالة على أن الذين كفروا معتدون على المؤمنين، وفَرْضُ القتال على المؤمنين إنما هو من أجل كف المعتدين ورد بأسهم.

ـ ٢ ـ

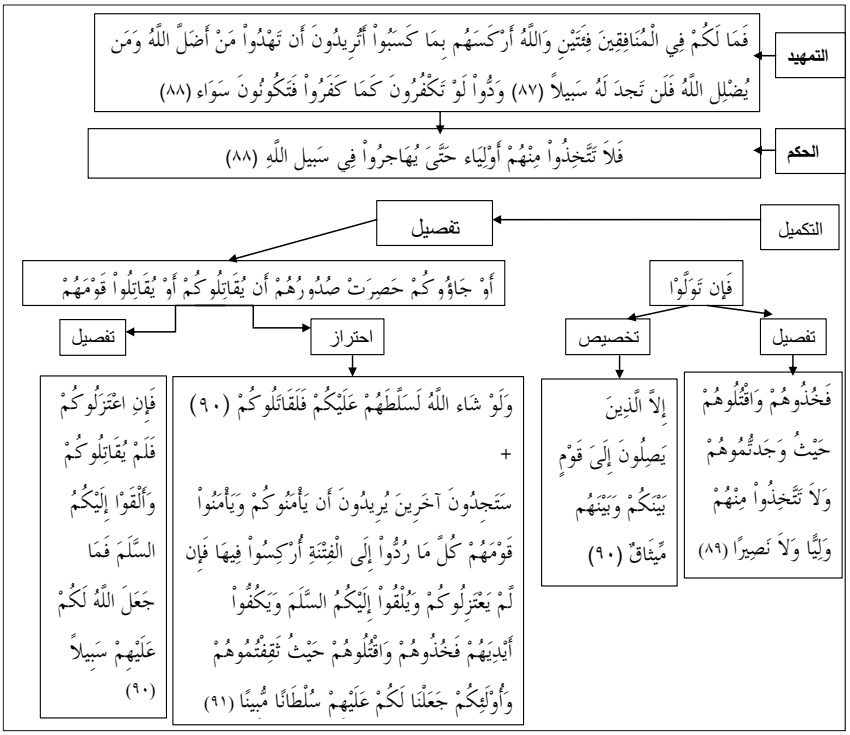

أ ـ التمهيد: ابتدأ حكم القتال الأساسي بتمهيد بواسطة سؤال استنكاري عن حال المؤمنين تجاه المنافقين: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾، والجملة ابتدائية مكونة من مبتدأ وخبر تُمِّمَت بالحال.

وفي التمهيد تم وصف المنافقين بواسطة الخبر في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾، وهذا الركس جاء نتيجة كسْبهم، بيّن ذلك المتعلق المُعلِل: ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾، ثم بواسطة التكميل بيّن نيتهم تجاه المؤمنين بواسطة الجملة الفعلية: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء﴾.

ب ـ الحكم: ﴿فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾، جملة إنشائية نهي.

ج ـ التكميل: قسم أولئك المنافقين إلى قسمين، وقد تم بحث ذلك في الاستثناء.

التكميل في آيات القتال في سورة التوبة

ومن الآيات نلاحظ:

١ـ سورة التوبة في حكمها الأساسي على المشركين الناقضين للعهد انقسمت إلى قسمين: **الأول** البراءة وهي نبذ العهد. **والثاني** الحكم المترتب على تلك البراءة وهو الأمر بالقتال.

٢ـ البراءة كان لها تكميلها تأكيدًا وبيانًا وتخصيصًا.

٣ـ الحكم لم يرد مطلقا، وإنما قيدته المحددات الدلالية كما يُلاحظ من الجدول السابق.

٤ـ دل التكميل على أن المأمور بقتالهم في سورة التوبة من المشركين هم صنف واحد؛ وهم الذين نبذوا العهد.

٥ـ كما دل الاحتراز على أن حكم الفرد يختلف عن حكم الجماعة.

التكميل في آيات القتال في سورة الحج

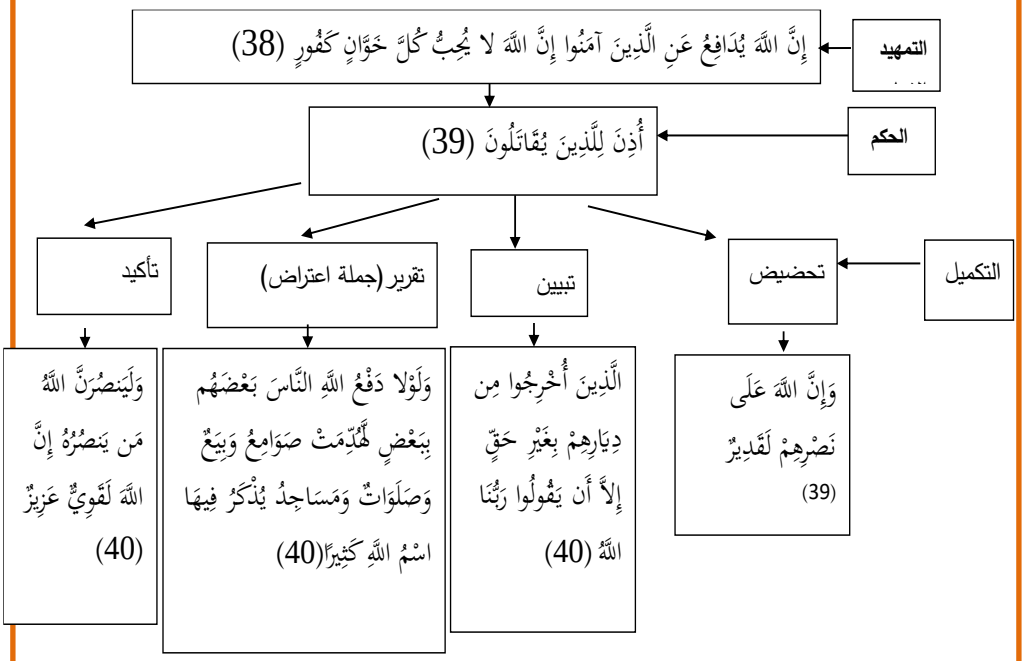

الملاحـــظات:

١ـ التمهيد: بدأ نص سورة الحج بتمهيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)﴾ وظهر التمهيد كالآتي:

أ ـ التوكيد بـ﴿إِنَّ﴾ وهذا يزيد من طمأنة النفوس المقبلة على مواجهة الصراع المسلح، خاصة وهذا النص أول نص أباح القتال للمؤمنين كما يقول كثير من المفسرين.

ب ـ التعبير بالجملة الإسمية: ﴿اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يزيد الحكم استقرارًا وثبوتًا.

ج ـ صياغة الخبر بالفعل المضارع ﴿يُدَافِعُ﴾، يُشعر بحضور المدافعة واستمرارها.

د ـ التعليل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ وفيه:

ـ التوكيد بـ (إنّ)، وبيان المفعول بأنه ﴿كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، والتعليل يبيّن ممن المدافعة في جملة التمهيد الأولى. فالله يدافع عن الذين آمنوا من الخونة الكفرة. والوصف بالخونة الكفرة

دليل على اعتداء الكافرين على المؤمنين. والتعبير بصيغة المبالغة (خوّان ـ فعّال)، (كفور ـ فعول) يزيد من التأكيد على عدوانيتهم وباطلهم.

٢ـ الحكم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾، جملة فعلية أسست حكمًا، ويرى ابن عاشور أن الجملة بدل؛ يقول: "جملة وقعت بدل اشتمال من جملة: ﴿إن الله يدافع﴾؛ لأن دفاع الله عن الناس يكون تارة بالإذن لهم بمقاتلة من أراد الله مدافعتهم عنهم"(٢٠).

تمت صياغة الجملة بالفعل المبني للمجهول ﴿أُذِنَ﴾، ونائب الفاعل محذوف كما يرى الزمخشري، إذ يقول: " أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة ﴿يقاتلون﴾ عليه"(٢١). وبواسطة التتميم بيّن السبب المُوجب للقتال بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾، قال الهراسي: "أبان الله تعالى أن الغرض من قتالهم دفع ظلمهم"(٢٢).

٣ـ التكميل:

أ ـ التحضيض: ﴿وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، جملة اسمية مؤكدة بـ﴿إِنَّ﴾ واللام في ﴿لَقَدِيرٌ﴾، يزيد في طمأنة المُخاطَب، وحثّه على الفعل.

ب ـ التبيين: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾، جملة بدل لبيان ﴿الذي يُقاتَلون﴾، وتوضيح للظلم الذي كان سببًا في إباحة القتال لهم.

ج ـ التقرير: جملة اعتراضية سنناقشها في دلالة الاعتراض.

د ـ التوكيد: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، جملة إنشائية (قسم)، تؤكد دفاع الله عن المؤمنين، ونصره لهم. وتم تعليل القسم؛ زيادة في التأكيد بالجملة التعليلية المؤكَّدة ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

---

(٢٠) ـ التحرير والتنوير (١٧/ ٢٧٢)

(٢١) ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ـ (٣/ ١٦١) ـ ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد ـ ط٣ ـ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ـ دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت.

(٢٢) ـ أحكام القرآن ـ علي بن محمد بن علي، المعروف بالكيا الهراسي (٤/ ١١) ـ المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية ـ ط٢ ـ ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية، بيروت.

التكميل في آيات القتال سورة محمد

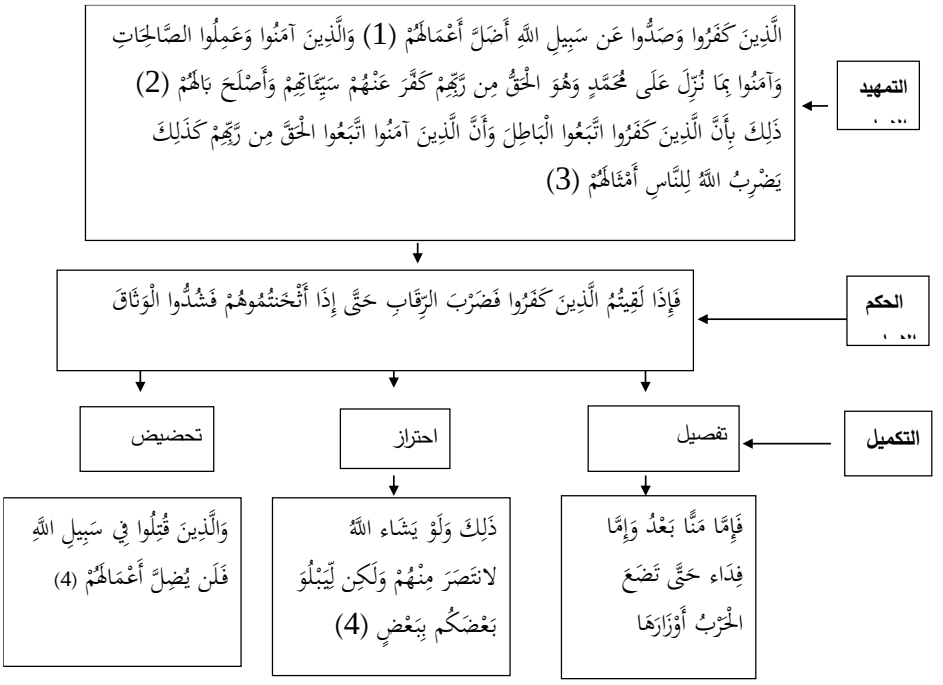

١ ـ **التمهيد**: وفيه بيان للأسباب التي ترتب عليها الحكم بالقتال، بالإضافة الى شرط اللقاء الذي ترتب عليه الحكم بضرب الرقاب.

٢ـ **الحكم**: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾

٣ـ **التكميل**: وفيه ثلاثة عنوانات هي:

أ ـ **التفصيل**: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

بدأت الجملة بحرف التخيير (إمّا)، وهي عند سيبويه مركبة من (إنْ) و (ما)[٢٣]، وما بعده مصدر لفعل محذوف دل على لفظه لفظ المصدر والتقدير: تمنون منّا أو تفادون فداء.

(٢٣) ـ انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ جمال الدين، ابن هشام ـ المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ـ (١/ ٣٧٧و٣٧٨). ط٦ ـ ١٩٨٥م الناشر: دار الفكر – دمشق.

والجملة تفصيل لحكم شد الوثاق؛ إذ يرد تساؤل ماذا يُفعل بهم بعد ذلك؟ فكان التكميل إجابة على هذا التساؤل المتوقع.

ب ـ الاحتراز: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾.

ـ اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ يعود على الحكم التكليفي والتقدير: (ذلك الحكم أو ذلك التكليف) وهو الخبر المحذوف، وجملة الإشارة اعتراض أو استئناف للتأكيد.

ـ والجملة الشرطية معطوفة عليها وهي إثبات لقدرة الله تعالى عليهم، وبيان للحكمة من تكليف الإنسان في زرع الحق في الأرض. وهذا ما أشار إليه البقاعي: " ولما كان هذا ربما أوهم أن التأكيد في هذا الأمر لكون الحال لا يمكن انتظامه إلا به، أتبعه ما يزيل هذا الإيهام فقال: ﴿ولو﴾ ولما كان (لو) عبّر بالماضي أفاد أنه كان ولم يبق، عبّر بالمضارع الدال على الحال وما بعده فقال: ﴿يشاء الله﴾ "[٢٤].

ج ـ الاستدراك: ﴿وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ تأكيد لمدلول جملة الإشارة، والمصدر المنسبك من أن المضمرة والفعل ﴿يَبْلُوَ﴾ مجرور باللام، والجار والمجرور متعلق بمحذوف؛ قدره الحلبي بـ"ولكنْ أَمَرَكم بالقتال ليَبْلُوَ"[٢٥].

د ـ التحضيض: اختتم النص بالتحضيض بواسطة الجملة الإسمية: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، ابتدأت بمبهم ﴿الَّذِينَ﴾، وتم بيانه بالصلة الممتدة بواسطة المتعلق: ﴿قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ﴾. ولّما كانت الصلة تُشعر بالعلة اقترن الخبر بالفاء في: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، فهي تشبه الشرط.

التكميل في سورة الممتحنة

الحكم الأساسي:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِّ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾

التكميل

(٢٤) ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧/ ١٥٣).

(٢٥) ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ـ المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ـ (٩/ ٦٨٦) ـ دار القلم، دمشق.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) ﴾ ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾.

من نتائج مبحث التكميل في آيات القتال:

أ ـ **الحكم**: النهي عن اتخاذ عدو الله وعدو المؤمنين أولياء يُلقى إليه بالمودة عند الخروج في سبيل الله وابتغاء مرضاته بواسطة النهي المُمَهّد بالنداء.

ب ـ التكميل: وظهر في النقاط الآتية:

١ـ التبيين: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾، جملة حالية، وردت بيانا لكيفية اتخاذهم أولياء، وإلقاء المودة.

٢ـ التهديد: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾، جملة شرطية اسمية، تفيد العموم لدلالة ﴿مَن﴾، والاستمرار لدلالة الفعل المضارع ﴿يَفْعَلْهُ﴾، والتأكيد لدلالة المتعلق ﴿مِنكُمْ﴾.

٣ ـ التعليل: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، جملة شرطية فعلية، تبين سلوكيات التعامل الحربي للأعداء تجاه المؤمنين من العداوة، وفعل السوء بواسطة الفعل ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾، والقول ﴿وَأَلْسِنَتَهُم﴾، والإرادة ﴿وَوَدُّوا﴾.

٤ ـ التوجيه: وظهر في نقطتين: **الأولى**: نفي نفع الأهل والأقارب ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ﴾، ونُفي بـ﴿لَن﴾ للتأكيد، وعطف خاصًّا على عام ﴿أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ زيادة في نفي النفع من أخص الأرحام وهم الأولاد.

الأخرى: قصة علاقة إبراهيم عليه السلام وأصحابه بأقاربهم غير المؤمنين وابتدأت بـ﴿قَدْ﴾، لتأكيد حدوث الفعل.

٥ـ الاحتراز: ﴿عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧)﴾. ورد في التحرير " و﴿عسى﴾ فعل مقاربة وهو مستعمل هنا في رجاء

المسلمين ذلك من الله، أو مستعملة في الوعد مجردة عن الرجاء"[٢٦].والضمير في ﴿مِنْهُم﴾ عائد على الأعداء.

٦ـ ما فيه معنى النقيض و٧ـ التعيين: قد قابلت الآية الثانية بكلمة (تولوهم) كلمةَ (تبروهم) في الآية الأولى، وعند ملاحظة التقابل اللغوي والمعنوي بينهما، تجد لمعنى (القبول) حضور مهم في توجيه معنى البر إليه، وتكون الآية الأولى أمرا بقبولهم، والثانية نهيًا عن توليهم، وهو نوع من أنواع القبول؛ لأن التولي هو حب الآخر واتباعه، ورد في لسان العرب عن ابن الأعرابي: "الوَلِيُّ التابع المحب... والمُوالاةُ: ضِدّ المُعاداة، والوَلِيُّ: ضدّ العدوّ ويقال منه تَوَلاَّه "[٢٧]، والنهي عن ذلك نهي عن الحب والاتباع والنصرة والصداقة، وهذا عدم قبول للآخر، ورد في تهذيب اللغة "وأما قوله تعالى: ﴿ومَن يَتَوَلّهم مِنْكم﴾، معناه: من يَتَّبعهم ويَنْصرهم."[٢٨].

وبناء على ما سبق أقول: إن البر والتولي -وإن كانا يلتقيان في معنى عام- لفظان مختلفان لكونهما لفظين وضعا لمعنيين، فغير المؤمنين مشتركون في عدم التولي، ولكنهما يختلفان في المعاملة: فالمسالمون، الذين لا يهضمون حقا، ولا يسيئون إلى حياة المسلمين ودينهم، فلا مانع من برهم والإحسان إليهم والعدل في معاملتهم، لكون العدل صفة من صفات الله تعالى يحب أن تشيع في الأرض.

أما الذين يسيئون الى سلامة العيش المشترك، أو يعتدون بحرب أو ما شاكله، وجب رد عدوانهم، وقتالهم حتى ينتهوا.

لكن هل النهي عن التولي نهي عن البر؟ فلا يجوز لنا أن نمارس سلوكيات البر بمن يعادينا؟

كلام الفقهاء يدل على خلاف في ذلك، استنادا إلى التفريق بين لفظ البر والتولي؛ لذلك اختلفوا في هل تجوز صلة من يقاتل المؤمنين وهبته؟، نتيجة التفرقة بين مدلول اللفظين. وإليك هذه المسألة: "وتصح الوصية للحربي في دار الحرب، نص عليه أحمد، وهو قول مالك وأكثر أصحاب الشافعي رضي الله عنه، وقال بعضهم: لا تصح؛ وهو قول أبي حنيفة؛ لأن الله تعالى

---

(٢٦) ـ التحرير والتنوير (٢٨/ ١٥٨)

(٢٧) ـ لسان العرب مادة (ولي)

(٢٨) ـ تهذيب اللغة ـ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ـ ص ٣٧٠ ـ تحقيق: محمد عوض مرعب ـ (١٥/ ٣٢٥) ـ ط١ـ ٢٠٠١م ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

قال: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ – إلى قوله – ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ الآية، فيدل ذلك على أن من قاتلنا لا يحل بره "[٢٩].

جملة ﴿ينهاكم الله...﴾: جملة فعلية فاعلها اسم ظاهر هو لفظ الجلالة، ومفعولها المؤمنون بدلالة السياق. وعبر بالمضارع (ينهى) بالرغم من كون التولي منهيًا عنه سابقا؛ ليكون للنهي حضوره وللفعل آنيته، تجديدا لزمنه، واستمرارا لحكمه.

جهة النهي: ﴿عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾. الجار والمجرور ﴿عَنِ الَّذِينَ﴾ متعلق بـ﴿ينهاكم﴾. وورد المجرور اسما مبهما مبيّنا بالصلة وقد امتدت الصلة بواسطة العطف لتتكون من ثلاث جمل ﴿قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ ﴾، وقد ارتبطت مع فعل النهي بواسطة (كاف الضمير) الواقع مفعولا في ﴿ينهاكم+ قَاتَلُوكُمْ + وَأَخْرَجُوكُمْ﴾ أو مضافا إليه في ﴿دِيَارِكُمْ + إِخْرَاجِكُمْ﴾ وهو عائد على المؤمنين. والوصف بالصلة يُبيّن من يجب قطع العلاقات معه، وحرمة توليه، كما يخصص تلك الصفة بواسطة متعلق أفعال الصلة فهو: فريق مقاتل في الدين لا في غيره، أخرج المؤمنين من ديارهم لا من غيرها، ظاهر على إخراجهم؛ فهو عدو يمارس الاعتداء على المؤمنين، بقتالهم من أجل حرية العقيدة، وإخراجهم من ديارهم وأوطانهم، والمظاهرة على هذا الطرد.

المنهي عنه: ﴿أن تولهم﴾: (أن تولهم): المصدر بدل اشتمال من العدو المبيّن بالموصول وصلته[٣٠]، وقد ساعد أسلوب القصر في تقديم المحكوم عليه ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾، على الحكم (التولي)؛ ليحمل أسلوب التركيب منطقية الواقع؛ فقد ساعد هذا الأسلوب على تقديم السبب على الحكم، وهو أدعى للقبول، لأن تقديم الحكم بطلب فعلٍ ما مدعاة للتساؤل عن سبب ذلك الحكم، وعلة ذلك الفعل، بينما تقديم السبب مدعاة إلى طلب الحكم المترتب عليه، المفضي إلى الفعل.

التوصية:

(٢٩) ـ المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ـ عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ـ (٦/ ٥٦١) ـ ط١/ ١٤٠٥هـ ـ دار الفكر – بيروت.

(٣٠) ـ انظر الدر المصون (١٠/ ٣٠٦).

من أوجب الواجبات اليوم والإسلام يتعرض لهجمة شرسة ساعد على إشعالها جهل الناس بدينهم، أن يُعاد بحث الموضوعات الدينية كالجهاد وغيره؛ انطلاقا من النص القرآني نفسه؛ ليدرك شباب اليوم روعة التشريع الإلهي، وحكمة التقنين الرباني، وصوابية الالتزام الديني، وحاجة الناس إلى هذا التشريع الكريم، الذي سبب غيابه الكثير من المشاكل للإنسانية جمعاء؛ إذ تحكم الإنسان بالإنسان، وشرع القاصر للقاصر، فنتج عن ذلك الكوارث الإنسانية، ولم تجْدِ التشريعات الأممية لحقوق الإنسان ورعاية الذمم، لأن لا ضابط كالدين، ولا حامي كشرع الله تعالى.

المصادر والمراجع

١. الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢. أحكام القرآن ـ علي بن محمد بن علي، المعروف بالكيا الهراسي ـ المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية ـ ط٢ ـ ١٤٠٥هـ ـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٣. البرهان في علوم القرآن ـ بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللهَّ الزركشي ـ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط:١ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ـ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

٤. بيان إعجاز القرآن ـ أبو سليمان حمد الخطابي ـ تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ـ دار المعارف بمصر.

٥. تحرير التحبير ـ ابن أبي الإصبع العدواني ـ تح: الدكتور حفني محمد شرف ـ لجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٦. التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ ط١٩٨٤ ه ـ الدار التونسية للنشر - تونس.

٧. تهذيب اللغة ـ أبو منصور محمد الأزهري ـ ص٣٧٠ ـ تح: محمد عوض مرعب ـ ط١ـ ٢٠٠١م ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨. خزانة الأدب وغاية الأرب ـ أبو بكر تقي الدين الحموي ـ تح: عصام شعيتو ـ ط١/ ١٩٨٧م ـ دار ومكتبة الهلال - بيروت.

٩. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبد القادر بن عمر البغدادي ـ تح: عبد السلام محمد هارون ـ ط ٤ ـ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ـ مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـ أبو العباس أحمد المعروف بالسمين الحلبي ـ تح: الدكتور أحمد محمد الخراط ـ دار القلم، دمشق.

١١. الصناعتين الكتابة والشعر ـ أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ـ تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

١٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـ يحي بن حمزة بن علي العلوي ـ ١٩١٤م ـ مطابع المقتطف ـ مصر.

١٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ أبو على الحسن بن رشيق القيرواني ـ تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط٥/ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ـ دار الجيل ـ بيروت.

١٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ محمود بن عمر الزمخشري ـ تح: مصطفى حسين أحمد ـ ط٣ ـ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ـ دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت.

١٥. لسان العرب ـ محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور ـ تح: اليازجي وجماعة من اللغويين ـ ط٣ ـ ١٤١٤هـ ـ دار صادر – بيروت .

١٦. مختصر المعاني ـ سعد الدين مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر التفتازاني ـ ط١/ ١٤١١هـ ـ دار الفكر ـ إيران.

١٧. معجم مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس ـ تح: عبد السلام محمد هارون ـ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ـ دار الفكر.

١٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ جمال الدين، ابن هشام ـ تح: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ـ ط٦ ـ ١٩٨٥م الناشر: دار الفكر – دمشق.

١٩. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ـ عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ـ ط١/ ١٤٠٥هـ ـ دار الفكر – بيروت.

٢٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ـ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢١. نقد الشعر ـ أبو الفرج قدامة بن جعفر ـ تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ بدون تاريخ ولا ذكر طبعة.

Romanization of Resources

1. Aletqan fi eulum Qur'an Jalal Aldiyn Alsuyutii - Investigator: Muhamad 'Abu Alfadl AL'iibrahim 1394hi/ 1974 m Egyptian General Book Authority
2. Ahkam al-Qur'an - Ali bin Muhammad bin Ali, known as Al-Kiya Al-Harasi - Investigator: Musa Muhammad Ali and Azza Abd Atiya - 2nd edition - 1405 AH - Library science, Beirut
3. Alburhan fi Eulum Qur'an - Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah Al-Zarkashi - Investigator: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim - 1st edition 1376 AH - 1957 AD - Arab Book Revival House – Cairo.
4. Byan 'iiejaz Al-Qur'an ' - Abu Suleiman Hamad Al-Khattabi - ed.: Muhammad Khalaf Allah, Dr Muhammad Zaghloul Salam, Dar Al-Maaref, Egypt.
5. Tahrir Altahbir - Ibn Abi Al-Asaba Al-Adwani - Investigation: Dr. Hafni Muhammad Sharaf - For the United Arab Republic - Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the Revival of Islamic Heritage.
6. Altahrir Waltanwir - Muhammad Al-Taher bin Ashour - published in 1984 AH - Tunisian Publishing House – Tunisia.
7. Tahadhib Allugha - Abu Mansour Muhammad Al-Azhari - p. 370 - Investigator: Muhammad Awad Marib - 1st edition - 2001 AD - Arab Heritage Revival House – Beirut.
8. Khizanat Al'adab Waghayat Al'arb - Abu Bakr Taqi al-Din al-Hamawi - Investigator: Issam Shaito - 1st edition 1987 AD - Al-Hilal House and Library – Beirut
9. Khizanat Al'adab Walb Libab Lisan Alearab - Abdul Qadir bin Omar Al-Baghdadi - Investigator: Abdul Salam Muhammad Haroun - 4th edition - 1418 AH - 1997 AD - Al-Khanji Library, Cairo.
10. Aldor Almasuwn fi Eulum Alkutaab Almaknun - Abu Al-Abbas Ahmad, known as Al-Samin Al-Halabi - Investigator: Dr. Ahmad Muhammad Al-Kharrat - Dar Al-Qalam - Damascus.
11. Alsinaeatayn Alkitabat Walshier - Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah Al-Askari - Investigator: Ali Muhammad Al-Bajjawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim - 1406 AH / 1986 AD - Al-Asriyya Library – Beirut
12. Altiraz Almutadamin Li'asrar Albalaghat Waeulum Haqayiq Al'iiejaz - Yahya bin Hamza bin Ali Al-Alawi - 1914 AD - Al-Muqtataf Press – Egypt

13. Aloumdah fi Mahasin Alshier Wadabih - Abu Ali Al-Hasan bin Rashiq Al-Qayrawani - Investigator: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid - 5th edition/1401 AH/1981 AD - Dar Al-Jeel – Beirut
14. Alkashaaf Ean Haqayiq Ghawamid Altanzil Waeuyun Al'aqawil fi Wujuh Altaawil - Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari - ed.: Mustafa Hussein Ahmed - 3rd edition - 1407 AH - 1987 AD - Dar Al-Rayyan Heritage in Cairo - Dar Al-Kitab Al-Arabi in Beirut.
15. Lesan Alearab - Muhammad bin Makram, Jamal al-Din Ibn Manzur - ed.: Al-Yaziji and a group of linguists - 3rd edition - 1414 AH - Dar Sader - Beirut.

16. Mukhtasar Al-Maani - Saad al-Din Masoud bin Omar bin Muhammad bin Abi Bakr al-Taftazani - 1st edition/1411 AH - Dar Al-Fikr - Iran.
17. Maejam Maqayis Allughah - Ahmed bin Faris - Investigator: Abdul Salam Muhammad Haroun - 1399 AH - 1979 AD - Dar Al-Fikr – Beirut.
18. Mughni Al-Labib on the Books of Arabs - Jamal Al-Din, Ibn Hisham - ed.: Dr. Mazen Al-Mubarak / Muhammad Ali Hamdallah - 6th edition - 185 AD - Dar Al-Fikr - Damascus
19. Al-Mughni Fi Feqh Alemam Ahmad ibn Hanbal al-Shaibani - Abdullah ibn Ahmad ibn Qudamah al-Maqdisi - 1st edition/1405 AH - Dar Al-Fikr - Beirut .
20. Nuzum Aldarar fi Tanasub Alayat Walsuwr - Ibrahim bin Omar bin Hassan Al-Rabbat bin Ali bin Abi Bakr Al-Baqa'i - Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo.
21. Naqd Alshier - Abu Al-Faraj Qudamah bin Jaafar - ed.: Dr. Muhammad Abdel Moneim Khafaji - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, Lebanon - no date and no mention of edition.